مقالات في كلـــات

للأستاذ علي الطنطاوي

١ — حرية الكتابة

لست أدعو في هذه الكلمة إلى سلب الكتاب حرية الكتابة ، ولكني أدعو الى الإبقاء على حرية الناس في التدين والتخلق بكريم الأخلاق . وإن لكل حرية حدوداً ، لا ينبغي لها أن تعدوها ، وإلا كانت حرية المجنون الذي يفعل ما شاء وشاء له الجنون . أنت حر في دارك ولكنك لا تستطيع أن تتخذ منها أتوناً للفحم ولا ماخوراً للفجور ، ولا تستطيع أن تحرقها أو تنسفها بالبارود . وأنت حر في نفسك ولكنك لا تقدر أن تبسط سفرتك فتأكل في المحراب يوم الجمعة والناس في الصلاة ، ولا تقدر أن تلقي الصحون وتصلي على المائدة ساعة الوليمة في الحفل الحاشد ، أو أن تحضر المحاضرة بلباس الحمام ، أو أن تصرخ في المستشفى أو تغني في المأتم . وأنت حر في قلمك ، ولكنك لا تملك أن تدعو إلى هدم استقلال وطنك ، والخروج على قوانين بلادك . إنهم يمنعونك ويسكتونك ويضربون إن فعلت على يدك .

فلماذا لا يمنعونك أن تكفر بالله ، وتهدم الأخلاق ، وتخرج الناس على الدين ، والأخلاق أساس الاستقلال والدين أولى من القانون ؟ وكيف صح ذلك المنع ، وساغ ، ولم يمس حرمة هذه الحرية ، ولم ينل من قدسيتها ، ولا يصح هذا ولا يسوغ ولا يكون إلا عدواناً على حرية الكتابة ، وإلحاداً فيها .

أو ليس من عمل الحكومة الذي كانت من أجله الحكومات أن تقر الأمن والسلام في الأمة ، وتضمن لها العزة والسيادة بين الأمم ؟ إنه لا يكون أمن أو تكون عزة إلا بالخلق المتين وبالدين ، فإن ذهبا لم يخلفهما شيء ... وما القانون ؟ هو الشرطي ... فإن أمن العاصي أن يراه الشرطي أو يدري به القاضي ، أو يناله العقاب ، ركب في طريق الغواية رأسه فلم يرده شيء ، أما المؤمن فيردعه عن المعصية علمه أن الله مطلع عليه في سره وعلنه ، وأما صاحب الخلق فربما رده خلقه ، وعصمه الله به ، فلماذا نهدم بأيدينا هذين الحصنين ، وندع الضعف والهوان يدخلان علينا بدخول الإلحاد والفجور .

أو من العدل أن تحفظ الحكومة أموال الناس من اللصوص وتضيع عقائدهم ؟ وتحمي جسومهم من القتلة وتبيح قلوبهم ؟ وتقيم الحراس يحرسون البيوت والأثاث وتدع أعراض البنات وأخلاق الصبيان هملا يسرقها ويعبث بها ، كل صحفي مفسد ، وشاعر ماجن ، وكاتب خبيث ؟

سيقولون : حرية الكتابة ...

نعم إنها حرية ينبغي أن تصان وتضمن ، ولا يعتدى عليها ، ولا ينال منها ، ولكن الدين والأخلاق ، ينبغي كذلك أن يصانا وأن يضمنا ، وألا يعتدى عليهما ولا ينال منهما ، فإن تعارض الأمران ، فلنحمل أخف الضررين ، ولنقبل بأهون الشرين ، وأهونهما أن نخسر حرية الكتابة (أحيانا) لنحفظ الدين والشرف ، لا أن نخسر الدين والشرف لنحفظ (حرية الكتابة) ، ونقول لكل صاحب نحلة ضالة ، أو هوى خبيث ، أو رأي هدام : اكتب ما تريد ، واطبعه ، وهاته نقرأه على أبنائنا وبناتنا ، ونصبه في عقولهم وننشئهم عليه !

ونحن اليوم في مطلع حياة جديدة ، وقد غيرت هذه الحرب المقاييس ، وبدلت قيم الأشياء في أفهام الناس ، وكانت امتحاناً قاسياً للأمم ، لم تنجح فيه أمة فشا فيها الفجور ، وعمت الفاحشة وضعفت الرجولة ، ونسيت العقيدة ، ولن يدوم نجاح لأمة لا تزال تستهين بالعفاف ، وتميل إلى المجون ، وتؤمن بالكفر ... وحسبنا فرنسا مثلا معروضاً لكل ذي عينين تبصران وعقل يفكر ، فلنعتبر بغيرنا قبل أن نصير عبرة للمعتبرين ، ولنفهم حكوماتنا ، أنه لا حياة لنا إلا إذا أنشأنا من أبنائنا جيلا مؤمنا متين الخلق ، ظاهر الرجولة ، مقبلا على الجد ، عارفا بالواجب عليه ، فإذا تركت الحكومات الصحفيين والكتاب (أعني بعضهم) ينقض كل يوم حجراً من صرح الأخلاق ، ويوهي جانباً . وينشر في الناس حديث الشهوة البهيمية ، ويستكثر من القراء بإثارة أحط الغرائز البشرية ، لم ننشىء والله إلا جيلا رخواً ضعيفاً ، همه شهوته ، ومطلبه لذته ، قد ضاعت رجولته ، وذهبت قوته ... ثم نبني بهذا الجيل مجدنا ، ونقيم عزنا ، ونأخذ بين الأمم مكاننا !

إن المسألة أكبر من أن نلوك فيها هذه الألفاظ (حرية الكتابة) و (حرية الفكر) ... إنها مسألة حياة أو موت !

٢ — أمثلة على حرية الكتابة

وما فى نشر الفاحشة صعوبة ، ولا يحتاج إلى عبقرية أو بلاغة أو أدب أو نبوغ ، وحسب الرجل أن ينشر فى كتاب ما يطوى فى الخلوة ، أو أن يظهر فى صورة ما يستر من العورة ، حتى ينال منه ما يريد.

فتجرأ الناس على الأدب ، واقتحموا حماه من غير أن يعدوا لذلك عدته من وقوف على اللغة وأساليبها ، واطلاع على صرفها ونحوها ، ونظر فى رسائل بلغائها ودواوين شعرائها . وفيم هذا العناء كله ، وأدب الشهوة ، لا يحتاج إليه ، ولا يعتمد عليه ؟ وما هى إلا سهرة فى الحانة ، أو ليلة فى (المرقص ...) حتى تجمع أسبابه كلها ومقوماته .

طبع فى دمشق منذ سنة كتاب صغير ، زاهى الغلاف ناعمه ملفوف بالورق الشفاف الذى تلف به علب (الشيكولاته) فى الأعراس ، معقود عليه شريط أحمر كالذى أوجب الفرنسيون أول العهد باحتلالهم الشام وضعه فى خصور (بمضهن) ليعرفن به ، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر ، فيه أشطار طولها واحد ، إذا قستها بالسنتمترات .. يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق القارح ، والبغى المتمرسة المتوقحة وصفاً واقعياً ، لا خيال فيه ، لأن صاحبه ليس بالأديب الواسع الخيال ، بل هو مدلل ، غنى ، عزيز على أبويه ، وهو طالب فى مدرسة . . . وقد قرأ كتابه الطلاب فى مدارسهم ، والطالبات .

وفى الكتاب مع ذلك تجديد فى بحور العروض ، يختلط فيه البحر البسيط بالبحر الأبيض المتوسط ، وتجديد فى قواعد النحو لأن الناس قد ملوا رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، ومضى عليهم ثلاثة آلاف سنة وهم مقيمون عليه ، فلم يكن بد من هذا التجديد.

ومع ذلك فقد قرأنا فى الجرائد من نحو شهر ، أن صاحب هـذا الكتاب ، قد دعى إلى محطة الإذاعة فى القاهرة ، ليذيع منها شعره ، رغبة منهم بنشر الأدب السورى ، وتوثيقاً للتعاون الثقافى بين الأقطار العربية !!..

وها كم مثالا آخر ، هو الكتاب الذى صدر فى دمشق منذ عهد قريب ، واسمه (مختصر تاريخ الحضارة العربية) ، وقد وضع لطلاب المدارس الثانوية ، ونصف مباحثه ، فى القرآن وعلومه ، والحديث وفنونه ، والفقه أصوله وفروعه ، والكلام ، والفرق الإسلامية وعقائدها ، والذى راع صدور العلماء ما فيه من التخليطات التى يكفر بمثلها المؤمن ، ويجهل العالم ، ويضحك منه على ذقن قائله ، وألف مفتى الجمهورية لجنة للنظر فيه ، فنظرت فوجدت فيه من الغلطات ما لا ينتهى العجب من صدوره ممن ينتسب إلى العلم ولو من وراء خمسة جدود . . فكان مثال مؤلفيه فيه — كالنحوى إذا ألف فى علم التشريح ، والكيميائى إذا كتب فى فن التمثيل .

على أن النظر فى الغلاف إلى اسم مؤلفيه يبطل هذا العجب ، لأن أحدهما اسمه جورج حداد — والآخر اسمه من أسماء المسلمين ولا أعرف عنه ولا عن زميله شيئاً ، ولكن أبحاث الكتاب تدل على أن هذا المسلم أجهل بعلوم المسلمين من الخواجه جورج !

إنها (حرية الكتابة) ، فليتعلم طلابنا الأباطيل على أنها حقائق ، والأوهام على أنها الإسلام ، ويحفظوها ليؤدوها يوم الامتحان ، ما دامت هذه الحرية مصونة ، والكلام فى الحد منها عدوان على الفكر المقدس .

(دمشق) **على الطنطاوى**

إدارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٧ مارس سنة ١٩٤٦ .

عن مناقصة رصف أفاريز بمدينة سوهاج وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٠٠ جنيه و٥٠٠ مليم خلاف مصاريف البريد . ٤٩٧٤